الخيط العلوي !

عن بورگسين الكاتب الدانيمركي

في صباح من ايام ايلول ، وقد لمعت قطرات الندى فوق اخضرار البراري ، كنت ترى خيوط عنكبوت فضيّة تتلايل كالحرير الشفاف في مهاب الرياح . كانت تأتي من بعيد ، وتذهب الى بعيد . . .

وعلق احد هذه الخيوط برأس شجرة عالية ، فانحدر عليه الطيّار ، وهو عنكبوت صغيرة مشوبة السواد بالاصفرار ، فتزحلت عن مطيّتها ونزلت باحثة في تلك الجهة .

غير ان المكان لم يلائم ذوقها ، فتأملت طويلاً واستكشفت ، ثم نسجت خيطاً جديداً ، وسارت عليه نحو علّيقة كبيرة رأت فيها عدداً من الميدان المشتبكة كافياً لنسج بيت فخم . فباشرت العمل مكلّفة الخيط الاول ، الذي انحدرت عليه من الشجرة ، ان يرفع زاوية قصرها العليا .

قصر كبير جميل امتاز عن سائر قصور العناكب ، لا بالفضاء عالق ولا بالارض لاصق . . . كذا كان يظهر للناظر المتعجب ، لان العين المجرّدة لم تكن لتقوى على تمييز الخيط القديم العالق بالشجرة والذي كان يرفع هذا القصر .

ومرّت الايام . . . واخذ الذباب يقلّ ، فاجبرت العنكبوت على تمديد اشراكها . فتوصلت — والفضل للخيط العلوي ! — الى توسيع قصرها عرضاً وارتفاعاً ، واكتنفت بحريرها الدقيق اطراف السياج . وفي ايام تشرين ، اذ كانت الشمس تُرسل اولى اشعتها على تلك الاشراك المترطبة بالندى ، كان قصر العنكبوت يظهر مطلياً بالفضة اللمّاعة ، مزيّناً بحبب اللؤلؤ البرّاق .

ولم تكن صاحبته لتجهل قيمة عملها الجميل ، بل كانت معجبة بقصرها حتى الكبرياء . فهي لم تبقَ حشرةً صغيرة عالقة في مهاب الرياح بخيط دقيق ، بل اصبحت الآن عنكبوتاً خطيرة تغدو وتروح مختالةً في قصرها الواسع الممتدّ على السياج طولاً وعرضاً واتساقاً . . .

في صباح مرطب الاعشاب ، افاقت العنكبوت الخطيرة باكرًا ، على غير عادتها ، والغضب يرجف قوائمها العديدة . دارت مهتمةً في انحاء القصر ، تفتش عن خلل موهوم ، وتبحث عن يلزمه اصلاح او ترتيب . هزت كل خيط بمفرده لترى موضع خروجه ونقطة التصاقه برفيقه ... وعلى الرغم من تحقق المتانة والكمال في عملها الانيق ، ظلت غضبى لا تقارب .

ولما انتهت الى الزاوية العليا الخارجية ، لاحظت خيطاً غريباً انكرته كل الانكار . كل الخيوط السابقة كانت تثنجه من مواضع مألوفة الى اماكن معروفة ، والعنكبوت كانت عالمة بنقاط اتصال فروعها المتعددة ؛ الا هذا الخيط العجيب ، فانه لم يكن ينتهي بنقطة منظورة ...

عند ذاك ، وقفت على ارجلها ، ونظرت الى العلاء بكل عيونها ، فلم تفهم معنى لهذا الخيط الذي كان يظهر صاعدًا الى النيوم دون جدوى .

— « يا له من خيط احمق ! »

صاحت العنكبوت ، وقد بلغ بها الغضب اقصى درجاته . وفي غضبها ، نسيت انها ، هي ذاتها ، نزلت في صباح من ايام ايلول على ذاك الخيط . ونسيت ايضاً منفعته العظيمة ، اذ جعلته « خيط الزاوية » ، ليرفع قصرها العجيب الغريب .

نسيت كل هذا ، ولم تكن ترى الا ان في ذاك المكان ، « خيطاً احمق » لا ينفع لشيء ، ولا يتصل بشيء ، بل يصعد بلا فائدة نحو النيوم ...

— « فليسقط هذا الخيط ! »

وبضربة واحدة قطعته بسرعة البرق .

وفي الحال ، تزعزع اثرها الجميل وتداعى بناؤها الفخم ، فهبط قصرها الفضي الى الحضيض .

وعندما افاقت من هول السقطة ، كانت تتململ تحت اشواك المليقة ، وعلى رأسها نسيجها المتراكم ، وقد اصبح خرقة من الاوساخ قذرة .

***

ثانية واحدة كفت لتخريب عظمة هذا القصر الفني ... وما ذاك الا لان صاحبته نسيت منفعة الخيط العلوي ...